مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: تخطيط المدن الرومانية في سورية الوسطى مدينة تدمر-أنموذجاً
اسم الكاتب: غدير وهبه، أ.د. سعيد الحجّي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2762
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 06:51 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 147 العدد 3 (2023): 130-163

Damascus University Journal of Historical Studies
Vol. 147 No. 3 (2023): 130-163

تخطيط المدن الرّومانيّة في سورية الوسطى
مدينة تدمر _ أنموذجاً

غدير وهبه[1]، أ. د. سعيد الحجّي[2]

[1] كلية الآداب –جامعة دمشق–قسم الآثار– إدارة متاحف

[2]. أستاذ دكتور– كلية الآداب –جامعة دمشق–قسم الآثار– إدارة متاحف.

الملخّص:

يدرس هذا المقال التّخطيط الرّوماني لمدينة تدمر كنموذج عن المدن الرّومانيّة في سورية الوسطى، حيث يشرح بالبداية عن التّخطيط الهيبودامي للمدينة، مع توضيح أهمّية الشّارع المستقيم فيها، والّذي يضم قوس النّصر، ثم يتناول مجموعة العمائر الرّومانيّة فيها، فيتحدّث عن المعابد الموجودة في المدينة بصورة عامّة، والمدافن، ويتطرّق للمسرح الرّوماني، والحمامات، بالإضافة إلى الحديث عن الفوروم.

وتكمن أهمّية هذا البحث أنّه تناول المقارنة بين المدن الرّومانيّة في سورية الوسطى وكل من سورية الشّماليّة والجنوبيّة بمدن تم اختيارها وفقاً لأهمّيتها في مواقعها، وهي على التّرتيب أفاميا شمالاً وبصرى جنوباً.

الكلمات المفتاحية: المدن الرّومانيّة الوسطى، مدينة تدمر.

تاريخ الإيداع: 2022/8/6
تاريخ القبول: 2022/9/28

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

ISSN: 2789-7478 (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/

Designing Romanian Cities in Central Syria_Palmyra City as an example

Ghadeer Wahbeh[1]، Prof. Said Alhaji [2]

1 Faculty of Arts - University of Damascus - Department of Archeology - Museums Department.

2 professor - Faculty of Arts - University of Damascus - Department of Archeology - Museums Department.

Received: 6/8/2022
Accepted: 28/9/2022

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright undera CC BY- NC-SA

Abstract:

This essay is talking about the Roman Design of Palmyra city, as an example of Romanian cities in the central Syria, which is firstly, explains the Hip podomian Design of the city, with clarifying the importance of the straight street in it, which contains the triumphal arch. Secondly, the assay deals with the Romanian buildings in Palmyra, such as the temples, cemeteries, Amphitheater, baths and the Forum. Finally, the importance of
this research is the comparison between the Romanian cities in middle Syria with the northern and southern one, and the principle of the comparison was choosing some of whom according to its importance, Apamea northerly and Bosra southerly respectively.

Key Word: Romanian Cities, Palmyra.

المقدّمة:

تُعد مدينة تدمر حالة نموذجيّة كمدينة سوريّة خلال العصر الرّوماني وسط البادية السّوريّة، أدّت دوراً هامّاً في حقبة تُعد الأغنى في تاريخها، وقد شكّلت في الوقت الحاضر أحد أهم المصادر الّتي نستنبط منها عظمة سورية في إحدى فترات تاريخها المجيد.

حيث تُشكّل بادية تدمر هضبة ارتفاعها بين (400–1400م)، تبعد مسافة 160كم شرقي حمص، و215كم شمال شرقي دمشق، والأساس الجغرافي لها هو نبع ماء، والّذي يُدعى نبع أفقا، ويقع عند معبر جبلي اضطراري في مكان القلب من بادية الشّام، على مسافة متساوية تقريباً بين المدن السّوريّة، وهذا النّبع خَلق واحة خضراء أصبحت مكان استراحة بين العراق والشّام ومحطّة للقوافل بين الخليج العربي وبلاد فارس والبحر الأبيض المتوسّط.

ولا شك أن هذا الموقع الممتاز كان ملائماً جدّاً لقيام تجمّع بشري هام منذ أقدم الأزمنة، لكن مُعظم ما تبقّى من آثار المدينة على مساحة أكثر من عشرة كيلومترات مربّعة، تُمثّل آثارها في عهدٍ هو أكثر عهودها ازدهاراً، وهو يمتد بين القرنين الأوّل والثّالث بعد الميلاد، أي العصر الرّوماني.

ساهمت عمليّات التّنقيب المنهجيّة في المدينة العثور على بقايا أثريّة تعود للعصور البرونزيّة، فقد دخلت تدمر السّجل التّاريخي في نهاية الألف الثّالث ق.م تقريباً، إذ ورد ذكرها في رقيم آشوري جاء فيه اسم بوزور عشتار التّدمري[1]، وجاءت كلمة التّدمري للدّلالة على تدمر، وفيما بعد أي حوالي الألف الثّاني ق.م تم ذكرها في رقيم اُكتشف في مدينة ماري، كما وردت في نقوش تغلات بيلاصر الأوّل_Tiglath Pileser I[3].

الّذي دوّن أخبار حملته على الآراميين في نهاية الألف الثّاني ق.م، وقد ذكرها باسم تدمو أمورو.

وقعت تدمر تحت أطماع اليونان ثمَّ الرّومان بسبب تحكّمها بزمام التّجارة، وما جمعته من ثروات تُثير أطماع الطّامعين فيها، إذ فتحها الاسكندر المقدوني_Alexander The Great بعد أن بدأ حملته نحو الشّرق في (336–323 ق.م) وتمكّن من الاستيلاء على بلاد الشّام ومن ضمنها تدمر، وبعد وفاته خضعت لخلفائه السّلوقيين، حيث امتدّت فترة هذا الحكم من وفاة الاسكندر المقدوني في 323 ق.م إلى احتلال سورية من قِبل تيكران الأرمني في الفترة الواقعة بين عامي 83 و69 ق.م، وقد ارتبط تاريخ تدمر بتاريخ الرّومان، ويتّضح ذلك من خلال ما ذكره الكتّاب الرّومان، إذ واصل الرّومان سياسة أسلافهم في محاولتهم السّيطرة على بلاد الشّام، وقد تمكّن القائد الرّوماني بومبي_Pompeii (106–64 ق.م) من إنهاء الحكم السّلوقي في بلاد الشّام عام 64 ق.م، بدأت الحروب الأهليّة في بدايات العصر الرّوماني في سورية خلال النّصف الثّاني من القرن 1 ق.م بين قادة الرّومان للسّيطرة على العرش، وقد انعكس ذلك سلباً على مناطق بلاد الشّام ومن ضمنها تدمر إلى أن وصل أغسطس_Augustus إلى عرش الامبراطوريّة في سنة 27 ق.م.

وقد وقعت تحت الحكم الرّوماني زمن الامبراطور تيبيريوس_Tiberius (14–37 م)، حيث غزت الامبراطوريّة الرّومانيّة تدمر وأجبرت أهلها على سداد المال لها، وقد أعلنها الامبراطور هادريان_Hadrian (117–138 م) خلال فترة حكمه وحدة إداريّة رومانيّة (مدينة مستقلّة)، وبعد ذلك منحها الامبراطور كراكلّا_Caracalla (211–217م) لقب مستعمرة وأعفاها من الضّرائب.

[1] بوزور عشتار التّدمري: وهو حاكم عسكري أو ملك، حكم مدينة ماري في 2050 ق.م.

[2] تغلات بيلاصر الأوّل: وهو أحد ملوك الامبراطوريّة الآشوريّة في العراق، حكم مدّة 48 سنة، من 1114 إلى 1076 ق.م.

وبرزت تدمر إلى الأمام إبان الحروب الفارسيّة في القرن 3م، وأصبحت سيّدة الصّحراء، فقد كان الشّرق آنذاك يضّطرب بالصّراع بين الامبراطوريّتين الفارسيّة والرّومانيّة، وكان على التّدمريين أن يختاروا الانضمام إلى إحدى الدّولتين، فآثروا أن ينضموا إلى روما، وذلك لأن الامبراطور الرّوماني كان _بسبب بُعد روما_ أقل خطر عليهم من الامبراطور الفارسي القريب منهم.

وأُطلق على المدينة اسم بالميرا (Palmyra)، والّتي تعني مدينة النّخيل، من قِبل الحكّام الرّومان في القرن الأوّل.

وبالتّالي بدأت المدينة تزدهر، حيث يُعتبر القرن 2و3 م، عصر ازدهار لتدمر وأنشطتها التّجاريّة الواسعة، على الرّغم من العوائق الّتي أعاقت القوافل التّجاريّة الخاصّة بالشّرق، ومواجهة عدم الاستقرار الحاصل في مواقع البحر المتوسّط الّتي يسيطر عليها الرّومان، فهذه الأسباب دفعت بهم لإقامة حكم شخصي محلّي لعائلة سبتموس أُذينة في تدمر.

حيث عُيّن أذينة حاكماً على سورية الفينيقيّة بواسطة الامبراطور فالريان_Valerianus (253–260 م)، ولكن فيما يبدو أنَّ ابنه الامبراطور جالينوس_Gallienus قد مَنح أذينة لقب حاكم الشّرق.

وبعد اغتيال أذينة وابنه ولي العهد، وبأمر من أذينة نفسه استلمت زوجته الثّانية زنّوبيا بعد وفاته مسؤوليّة التّحكم بأمور المدينة نيابة عن ابنها الصّغير وهب اللّات، وقد أصبحت حاكماً فعّالاً.

فلم ترغب زنّوبيا بأن تُبقي تدمر تحت الحكم الرّوماني، فثارت على الرّومان واستطاعت تأسيس دولة مستقلّة الحكم عنهم في تدمر، وبدأت سنة 270م بتوسيع حدود دولتها بواسطة جيشها الكبير المؤلّف من 70000 جندي، حيث تقدّم لاحتلال مصر، كما احتلّت أيضاً جزءاً كبيراً من آسيا الصّغرى، وقد احتلَّ جنودها في نفس العام مدينة الاسكندريّة (ثاني مدائن الامبراطوريّة)، وتم تعيين ابنها الأصغر هبة الله حاكماً على مصر، إلّا أن هذا أثار غضب الامبراطور الرّوماني أورليان_Aurelian، فحشد جيشاً ودمّر المدينة في 273م، ثم أعاد الامبراطور ديوكلتيانوس_Diocletian بناء تدمر، لكنّها لم تعد لسابق عهدها وازدهارها.

لكن عادت إلى الانتعاش والازدهار قليلاً في نهاية القرن 3م عندما اتّخذها دقلديانوس_Diocletian محطّة حربيّة، وقد أدّت التّغيرات الإقليميّة في المنطقة إلى تحوّل سكّان المدينة للدّين المسيحي في القرن 4م، ولكنّها لم تكن أكثر من مركز إداري صغير ضمن الامبراطوريّة البيزنطيّة، ثم للدّين الإسلامي في القرن 7م.

وقد ظلّت المدينة مأهولة حتّى قرر الحكّام الفرنسيون بعد مجيء الانتداب (1923–1943م)، أن ينقلوا جميع السّكان في عام 1932م إلى مدينة تدمر الحديثة ليصبح موقع المدينة الأثري متاحاً للتّنقيب والاستكشاف.

كانت اللّغة الآراميّة هي اللّغة المُعتمدة في المدينة حتى الفتح الإسلامي حيث تحوّلت للّغة العربيّة، وكان الإله بل (نظير الإله بعل) هو الإله الرّئيسي لهم.

دراسة مرجعيّة:

ارتكزت مُجمل الدّراسات المتعلّقة بمخططات المدن الرّومانيّة في سورية بشكل عام على دراسات المُستشرقين من مختلف الجنسيّات، وقد اعتمد أغلب هؤلاء في دراساتهم على الأعمال الأثريّة، فالكثير من هذه المدن لم تكن ظاهرة للعيان إذ تم الكشف عنها من خلال الصّور الجويّة والمسوحات الأثريّة بالإضافة للقيام بأعمال التّنقيب والحفر، وبالحديث عن مدينة تدمر على وجه الخصوص فقد بدأ الرّحالة والمهتمّين بزيارتها منذ أواسط القرن 17م، ومنهم الإيطالي دلافالي_Pietro Della Valle 1616–1625م، والفرنسي تافرنييه_Tavernier 1638م، والفرنسي جيرود_Girod في سنة 1705م، والسّويدي كورنيليوس لوس_Cornelius Loos في سنة 1710م، والجدير بالذّكر أنّه وفي عام 1751م زار العالِمان الانكليزيّان روبرت وود_ Robert

Wood ودوكنس_Dawkins المدينة، وقاما بمسحها أثريّاً ، ثم نشرا نتائج أعمالهما عام 1753م في كتاب (أطلال تدمر)، الّذي يتميّز بمجموعة وفيرة من الرّسوم التّوضيحيّة ونصوص المعلومات، والّذي نُشر باللّغتين الانكليزيّة والفرنسيّة، فقد أثّرت أطلال تدمر النّفيسة وأسلوب الزّخرفة الفخم بشكل كبير في الأسلوب الكلاسيكي، خاصّة في إنكلترا، وقد فتح الكتاب أعين الباحثين على أهمّية تدمر، فقام الفرنسي بارتيلمي هربلو_Barthelemy Herbelot والإنكليزي سوينتون_Swinton إلى تفسير الكتابات التّدمريّة.

وفي عام 1881م قام الأرمني الرّوسي اباماليك لازريف_Lazarev باكتشاف نص القانون المالي، المعروف باسم التّعرفة الجمركيّة التّدمريّة، الّذي نُقل فيما بعد إلى متحف الارميتاج في سان بطرسبرغ في روسيا، ثم نشر الألماني فيغاند_Wiegand مؤلّفاً ضخماً عن تدمر بعد أعمال أثريّة فيها خلال 1902 و1917م، وأرسلت الأكاديميّة الفرنسيّة بعثة لنسخ الكتابات التّدمريّة في عام 1914م، وآل المشروع في النّهاية لنشر مؤلّف (جامع الكتابات السّامية)، حيث خُصص الجزء الثّاني منه لتدمر.

ويجب التّنويه بأنّه وبعد الحرب العالميّة الأولى، وتحديداً في سنة 1924م قامت بعثة دنماركيّة بالعمل في الموقع برئاسة هرالد انغولت_H.Ingholt، وتتالت الكثير من البعثات الأجنبيّة للعمل في هذا الموقع، وقد شهدت المرحلة الممتدّة من الحرب العالميّة الثّانية وحتّى الآن تنوّعاً بالأبحاث والدّراسات الأثريّة الّتي عملت بها بعثات أثريّة عديدة من جنسيّات مختلفة مع البعثة الوطنيّة بإدارة الدّكتور سليم عادل عبد الحق ومن ثمَّ الدّكتور عدنان البنّي وعمل معهم عدد من الباحثين أمثال نسيب صليبي وخالد الأسعد[1]. ومن أهم الدّراسات الّتي تخصصت بمخطط هذه المدينة هو مقال لجيريل آلبرت_G.Albert بعنوان Recherches archeologiques a Palmyre[2] في مجلّة سيريا الفرنسيّة، يتحدّث من خلاله عن الموقع الجغرافي لمدينة تدمر بحدودها، والمخطط الرّوماني لهذه المدينة موضّحاً الشّارع الكبير والمنازل والكنائس والمقابر، موثّقاً ذلك بالصّور.

ومقال آرنست ويل_A.Will بعنوان Developpement urbain de Palmyre[3] (3)، في مجلّة سيريا الفرنسيّة، والّذي يتحدّث عن التّطور العمراني لمدينة تدمر من خلال الأدلّة الكتابيّة القديمة والحديثة، حيث اعتمد على العديد من النّقوش اليونانيّة القديمة في هذه الدّراسة، ومن خلال دراسة التّطور العمراني للمدينة يصل الباحث إلى نتيجة وهي أن المدينة الهلنستيّة والّتي بقيت إلى بدايات الفترة الرّومانيّة بُنيت معظمها خارج الأسوار المتأخّرة وعلى طول مسارها الجنوبي، ولا تزال خطوط هذه المدينة غير واضحة بعد.

بالإضافة لمقال لميخالوفسكي_K.Michalowski بعنوان التّنقيبات البولونيّة في تدمر عام 1963م[4]، ضمن مجلّة الحوليّات الأثريّة العربيّة السّوريّة، حيث يتحدّث عن تنقيبات البعثة البولونيّة في تدمر عام 1963م، والّتي كانت تهدف للكشف عن الفوروم، وقد ساعدت هذه الحفريّات بإغناء البعثة بمعلومات عن كيفيّة تنظيم ساحة الفوروم، والّتي كانت مخصصة لاجتماع جنود المعسكر الرّوماني، وقد كان الفوروم من أساسيّات المخطط الرّوماني في أي مدينة تتبع لها، وقد عملت البعثة اليابانيّة لسنوات طويلة على دراسة المقابر التّدمريّة.

---

[1] عبد الكريم، مأمون: 2013، آثار بلاد الشّام خلال العصور الكلاسيكيّة، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ص38.

[2] Albert. A: 1926, *Recherches archeologiques a Palmyre*, in: Syria, V 7, pp. 71-92

[3] [3]Will. E: 1983, *Developpement urbain de Palmyre: temoignages epigraphiques anciens ET nouveaux*, in: Syria, pp. 69-81

[4] ميخالوفسكي، كازيمير: 1964، "التّنقيبات البولونيّة في تدمر عام 1963"، الحوليّات الأثريّة العربيّة السّوريّة، تعريب: بكري الأسود، م14، ص209–222

وهنا نلاحظ الاهتمام المتلاحق بهذه المدينة، وتتابع عمليّات البحث والتّنقيب للعثور على أدّلة جديدة تخدم النّظريّات والفرضيّات المُتّبعة أو تدحضها.

إشكاليّة البحث:

تركت الأحداث الّتي عاشتها مناطق بلاد الشّام خلال القرون المختلفة أثراً كبيراً في تغيّر شكل المدن، إضافة إلى سياسات التّوسع الّتي كان لها دور مهم خاصّة خلال العصر الرّوماني، إذ عرفت مناطق مختلفة منها نهضة معماريّة وعمرانيّة تمّت خلالها إعادة تخطيط المدن من جديد بما ينسجم مع زيادات عدد السّكان، وكذلك توفير المساحات اللّازمة لبناء الأبنية الجديدة العامّة والخاصّة.

وفيما يخص مدينة تدمر خلال هذا العصر فكان من الصّعب تحديد تخطيط المدينة إن كان يعود للعصر الهلنستي، أو هو روماني بأصله، وذلك بسبب الفروقات البسيطة بين مخططات مدنهم، نتيجة تأثر الحضارة الرّومانيّة بالهلنستيّة السّابقة لها.

فكان لا بدَّ في هذا البحث التّأكيد على نوعيّة مخطط المدينة، بالإضافة إلى توضيح الصّبغة الشّرقيّة إن وُجدت ضمن هذه المدينة بمخططها وعمائرها.

فكان لابدَّ من الإجابة على مجموعة من التّساؤلات:

1-هل مخطط مدينة تدمر هلنستي أم روماني بأصله؟

2-هل يوجد للمدينة طابع خاص تبعاً لمكانتها في الشّرق وأهمّيتها ضمن العصر الرّوماني؟

3-ما هي أوجه التّشابه والفروقات الممكن تواجدها بين مدن سورية الوسطى ونظائرها في الشّمال والجنوب السّوري؟

أهمّية البحث:

تكمن أهمّية هذا البحث بأنّه يحاول دراسة مخطط مدينة تدمر كونها أحد أهم المدن الرّومانيّة في سورية الوسطى، فيعطي صورة واضحة عن الهندسة المعماريّة للمدينة بعمائرها المتنوّعة الّتي يعود بناؤها لنفس العصر.

ثم يقوم بمقارنة مخطط هذه المدينة كونها نموذج واضح عن مدن سورية الوسطى، مع نظيراتها من الشّمال والجنوب السّوري، وهما على التّرتيب أفاميا وبصرى، من حيث المخطط العام للمدن، وأوجه التّشابه والاختلاف بين العمائر.

منهجيّة البحث:

تتمركز منهجيّة البحث على الجانب النّظري، وذلك من خلال العودة إلى المصادر والمراجع العربيّة والأجنبيّة (الانكليزيّة والفرنسيّة) والأبحاث والدّراسات والمقالات الّتي تناولت مدينة تدمر.

ثم إجراء دراسة وصفيّة تحليليّة للعمائر الرّومانيّة الموجودة ضمن هذه المدينة.

بالإضافة لمقارنة هذه المدينة مع مدينتين مختارتين تمثّلان نموذجاً عن المدن الرّومانيّة في سورية الشّماليّة والجنوبيّة.

المبحث الأوّل: 1- العوامل المساعدة على نشوء المدينة:

بدأت المجتمعات البسيطة بتحقيق تقدّم على صعيد العديد من النّواحي التّقنيّة والاقتصاديّة، فأصبحت القرى والتّجمّعات البشريّة الأولى الّتي قامت بالأساس بفضل ظهور الزّراعة أكثر تنظيماً وتعقيداً، وهذا ما يُطلق عليه عادة اسم الثّورة المدنيّة_ Proto Urbaine، الّتي بدأت بوادرها الأولى منذ الألف 6 ق.م، واكتملت بظهور المدن الأولى في الألف 4 ق.م، وتحديداً في العصر الحجري النّحاسي المتأخر الرّابع_4 Late Chalcolithic (3600-3400 ق.م).

وبالنّسبة لتحديد المنطقة الأولى الّتي ظهرت فيها المدن فقد كان الاعتقاد السّائد عادة هو أن ظهور التّنظيم الهرمي للمجتمعات القديمة لم يتم بوقت واحد في كافّة أنحاء الشّرق الأدنى القديم، وأن منطقة الجنوب الرّافدي كانت هي الرّائدة، حيث ظهرت المدن الأولى في جنوب بلاد الرّافدين، ثم انطلقت لأنحاء الشّرق الأدنى القديم بعد ذلك، عندما انطلق سكّان الجنوب الرّافدي إلى الشّمال، وقاموا بتأسيس المدن الأولى هناك، لذلك يُطلق على هذه الفترة أيضاً اسم توسّع أوروك_Uruk Expansion[5] .

لكن هذه النّظريّة أصبحت تتعرّض حاليّاً إلى العديد من التّساؤلات بعد أن كشفت الحفريّات الحديثة عن مدن أقدم من مدن الجنوب الرّافدي المؤرّخة بالنّصف الثّاني من الألف 4 ق.م، يعود تاريخها إلى بداية الألفيّة في منطقة بعيدة عن الجنوب الرّافدي، وهي منطقة الجزيرة السّوريّة، حيث دلّت هذه التّنقيبات على وجود مدينة في كل من تل براك وتل حموكار مؤرّخة بالنّصف الأول من الألف 4 ق.[6] لكن من المؤكّد أن المدن لم تنشأ في أماكن عبثيّة أو أماكن لا تتوفّر فيها ظروف ملائمة للحياة والاستقرار البشري، بل أنّها على العكس تماماً، فقد نشأت في أماكن تم اختيارها لغايات تعود بالفائدة على السّكان، نورد بعضاً منها وفق الآتي:

أ- مدن يعود اختيار موقعها إلى نهر:

شكّلت ضفاف الأنهار على مر العصور مكان جذب للتّجمّعات البشريّة، وقد أُنشِئت المدن على ضفافها لأنّها تُشكّل مصدراً للمياه، الضروري للزّراعة وتربية الحيوان[7].

ب- مدن يعود اختيار موقعها إلى البحر:

شكّل البحر مصدر رزق كبير لمحترفي الصّيد، كما أنّه هيّءَ الظّروف المناسبة للملاحة وبالتّالي التّجارة.

جـ- مدن يعود اختيار موقعها إلى الطّرق التّجاريّة:

كانت التّجارة من أهم العوامل الّتي أُحييت بسببها مدناً كاملة كمدن تجاريّة، حيث أُنشِئت العديد من المدن على مفترق الطّرق التّجاريّة، لتُشكّل عُقد تجاريّة هامّة، مما يؤدّي لازدياد اهمّيتها وإنشاء الطّرق التّجاريّة اتجاهها.

د- مدن يعود اختيار موقعها إلى ينبوع.

هـ- مدن يعود سبب اختيار موقعها إلى غابة.[8]

وبالنّسبة لقيام مدينة تدمر على وجه الخصوص فنجد أنّه وقد كان لنبع أفقا دور كبير في نشوء المدينة، حيث تشكّلت منه الواحة الّتي ساعدت على قيام الزّراعة، وقد أشارت الكتابات المُكتشفة على قدسيّة هذا النّبع، حيث قدّم سكّان المدينة القرابين لرب النّبع (يرحبول وإله آخر غير مُسمّى).

ولكن لم يكن هذا النّبع هو السّبب الوحيد لنشوء المدينة، فلا نستطيع إنكار الجانب السّياسي ودوره في إنشاء وازدهار مدينة تدمر في ذلك العصر، وهذا ما نلاحظه من خلال وقوعها بين امبراطوريّتين عظيمتين متعاديتين (الفارسيّة والرّومانيّة)، ومحاولة كل

[5] [1]Forest, J.D:2006. *L'apparition de l'etat en Mesopotamie*, in Charvat, Univerzita Karlova v Praze, Paris, 2002, PP 11-18

[6] Ausgrabungen der Forschungsgemeischaft in Uruk-Warka, PP 65-77

[7] بالتي، جان شارل: 2004، "تحوّلات واستمرارات الفضاء العمراني منذ التّأسيس الهلنستي وصولاً للمدينة الرّومانيّة البيزنطيّة"، المدينة في سورية وأقاليمها: الموروثات والمتحوّلات، ترجمة: محمد دبيات، دمشق، ص45

[8] Tarn. W: 1983, La Civilization Hellenistique, Paris, Payot, PP. 138-139

منهما استمالتها لجانبه، حيث قرر التّدمريون الوقوف بجانب الامبراطوريّة الرّومانيّة وذلك خدمة لمصالحهم، حيث كانت المدينة ستتمتّع بحكم ذاتي ومستقل بسبب بُعد الامبراطور الرّوماني عن تدمر، ووجوده في العاصمة روما.

كما كان للموقع الجغرافي دور قوي وفعّال في نشوء المدينة وامتلاكها أهمّية جغرافيّة على حساب المناطق والمدن المجاورة لها، حيث كانت محطّة للقوافل التّجاريّة بين دمشق والعراق، والمدينة أقرب طريق سالك بين الفرات ودمشق، ونقطة عبور اضطراريّة، ومحطة قوافل بين البحر المتوسّط والفرات، وعند أحد المعابر القليلة الّي تجتاز جبال البادية، فأصبحت تدمر متحكّمة بشبكة من الطّرق التّجاريّة الّتي تربط السّواحل السّوريّة بآسيا والهند، وغدت سوقاً للتّجارة تكدّست فيه أنفس البضائع[9].

2_ المخطط الرّوماني لمدينة تدمر:

قبل الخوض في مخطط مدينة تدمر الرّوماني لا بدَّ لنا الحديث عن مخططات المدن الرّومانيّة بالشّكل العام، حيث تُعتبر الحضارة الأغريقيّة الملهم الأساسي للحضارة الرّومانيّة، حيث ظهر أثرها في الحضارة الرّومانيّة في معابدها ومبانيها العامّة، ولكن الرّومان لهم طابعهم الخاص، فكان اهتمامهم بالمباني العامّة أكثر بكثير من اهتمامهم بالمباني الدّينيّة.

أكثر الرّومان من إنشاء المدن حتّى تكون مراكز دفاع عن البلاد، ونتيجة لزيادة السّكان كان تخطيط معظم مدنهم شطرنجي (المخطط الهيبودامي_Hippodomian ceheme)، أي نظام تقاطع الشّوارع الرّأسيّة مع الشّوارع العرضيّة فتشكّل شبكة من المربّعات. (الشّكل 1).

تكون المدينة بالعادة مربّعة أو مستطيلة، يخترقها شارعان رئيسيّان متعامدان، الأوّل ممتد من الشّرق إلى الغرب (الدّيكومانوس_Decumanus)، والآخر من الشّمال إلى الجنوب (الكاردو_Cardo)، بهما أعمدة تميّزهما عن باقي الشّوارع، وعند التّقاطع يكون الميدان الرّئيسي، ويحيط بالمدينة سور ذو بوابات.

تميّزت المدينة الرّومانيّة في دمج المنطقة المقدّسة والعامّة في موقع واحد وهو الفوروم_Forum، حيث يشمل منشآت أساسيّة كمقر مجلس البلديّة وصالة النّشاط التّجاري وملتقى رجال الأعمال ومقر مركز القضاء، وأيضاً يشمل السّوق [10].

وبالعودة إلى مضمون البحث الرئيسي، ألا وهو مدينة تدمر الرّومانيّة، فعُثر على أقدم نصوص تذكر تدمر باسمها الحالي في كانيش الآشوريّة، أو كولتبة بمقاطعة كبادوكية في الأناضول، وذُكرت تدمر باسمها الحالي في حوليّات الملك الآشوري تيغلات بيلاصر، وفيما بعد أُطلق عليها باللّغتين الإغريقيّة واللاتينيّة اسم بالميرا[11].

[9] Pfister. F: 1940, Texteles de Palmyre, Paris, pp36

[10] علي الدّليمي، خلف حسين: 2006م، تخطيط المدن (نظريّات–أساليب–معايير–تقنيات)، جامعة الأنبار، العراق، ص68

[11] Tarn. W: 1983, PP. 138-139

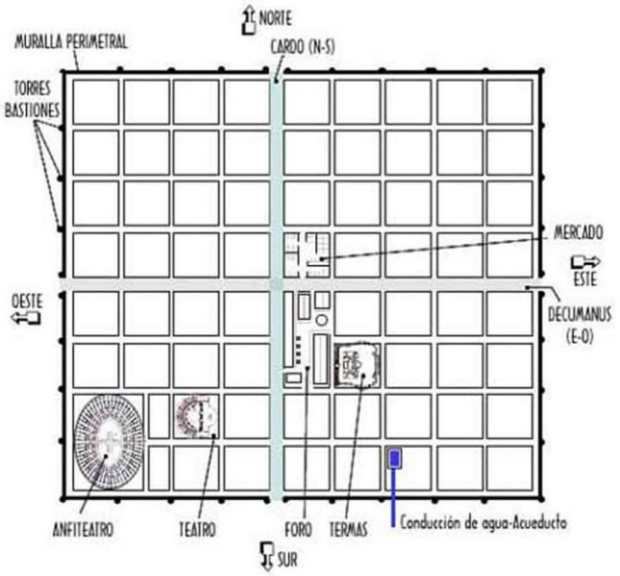

الشّكل (1): المخطط الشّطرنجي، أو ما يُعرف بالمخطط الهيبودامي
(علي الدّليمي، خلف حسين: 2006م، ص70)

بدأت تدمر كمستوطنة صغيرة بالقرب من نبع افقا على الضّفة الجنوبيّة لوادي القبور، وقد كانت هذه المستوطنة الّتي عُرفت باسم المستوطنة الهلنستيّة عبارة عن مساكن امتدّت إلى الضّفة الشّماليّة للوادي خلال القرن 1م، على الرّغم من أن أسوار المدينة كانت تحيط بمنطقة واسعة على ضفّتَي الوادي[12]. (الشّكل 2)

لم تُحِط الأسوار الّتي أُعيد بناؤها خلال العصر الرّوماني إلّا بمنطقة الضّفة الشّماليّة، وقد بُنيت معظم مشاريع المدينة الضّخمة على ضفّة الوادي الشّماليّة، ومنها معبد بل الّذي بُني في موقع معبد سابق (المعبد الهلنستي)، ومع ذلك دعمت التّنقيبات نظريّة أن التّل كان موجوداً أصلاً على الضّفة الجنوبيّة، وأن الوادي كان قد تم تحويله إلى جنوب التّل بهدف دمجه في التّنظيم الحضاري الّذي قام في القرنين 1و2م في منطقة الضّفة الشّماليّة [13].

[12] Tarn. W: 1983, PP. 138-139
[13] Tarn. W: 1883, PP. 138-139

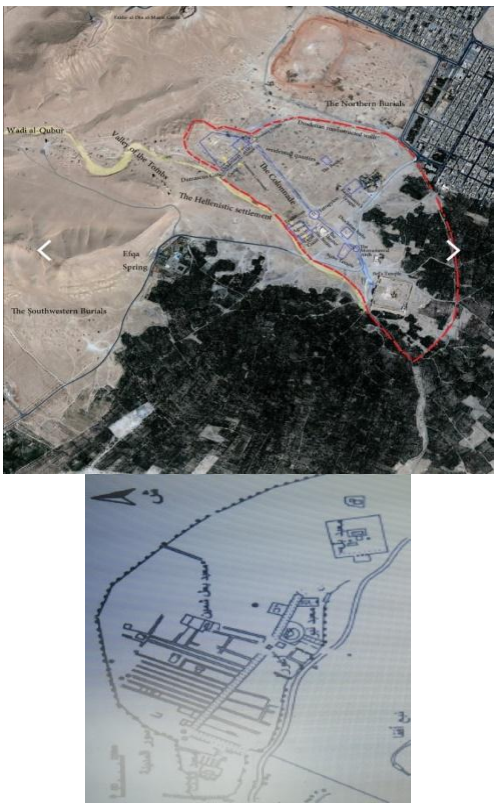

الشّكل (2): مخطط لمدينة تدمر تظهر فيه تقسيمات ومعالم المدينة كاملاً
(http://arab-ency.con.syria/artifacts/detail/166449)

يحتوي مخطط مدينة تدمر الرّوماني كما أي مدينة رومانيّة أخرى على شارعين رئيسيين، أحدهما ممتد من الشّرق إلى الغرب (الدّيكومانوس_Decumanus) بمسافة 1135م، والآخر من الشّمال إلى الجنوب (الكاردو_Cardo) بمسافة 375م، ويحيط بالمدينة سور يُشبه الشّكل المستدير من جهته الشّماليّة، ويبلغ محيطه 12كم، وقد كان لهذا السّور أبراج مربّعة الشّكل تدعمه أبراج مستديرة، وكان يفصل بين كل برجين مسافة 37م تقريباً، وتتوزّع أطلال المدينة على مساحة تزيد عن 10كم^2 ضمن السّور، وكل هذا ضمن ما يُسمّى بالمخطط الشّطرنجي (المخطط الهيبودامي_Hippodomian ceheme) الّذي انتشر في العهد الرّوماني، وهو بالأصل يعود للعصر الهلنستي وقد استمر بالعصر الرّوماني، والّذي يقوم على أساس توزّع المنشآت في المدينة ضمن أحياء شبه منتظمة من خلال الشّوارع المتوازية والمتقاطعة .

انتشرت البيوت في البداية بجوار النّبع موزّعة حول معبد بل القديم، ونتيجة الازدهار الاقتصادي في القرون الثّلاثة الأولى للميلاد اتّسعت المدينة وازدهرت، فخلال القرنين الثّاني والثّالث امتد الشّارع الطّويل وعلى جانبيه قامت الأروقة المُظللة بالإضافة إلى عدد من المنشآت الهامّة كحمامات زنّوبيا ومعبد نبو والمسرح والميدان ومجلس الشّيوخ، والمصلبة (التترابيل) عند تقاطع الشّارعين الرّئيسيين. (الشّكل 3).

الشّارع المستقيم أو الشّارع ذي الأعمدة: وهو شارع محاط بالأعمدة، يمتد من المدخل الرّئيسي لمعبد بل إلى بوّابة دمشق، ويمكن تقسيمه إلى أربعة أقسام محددة بعناصر معماريّة مميّزة[14]. (الشّكل 4)

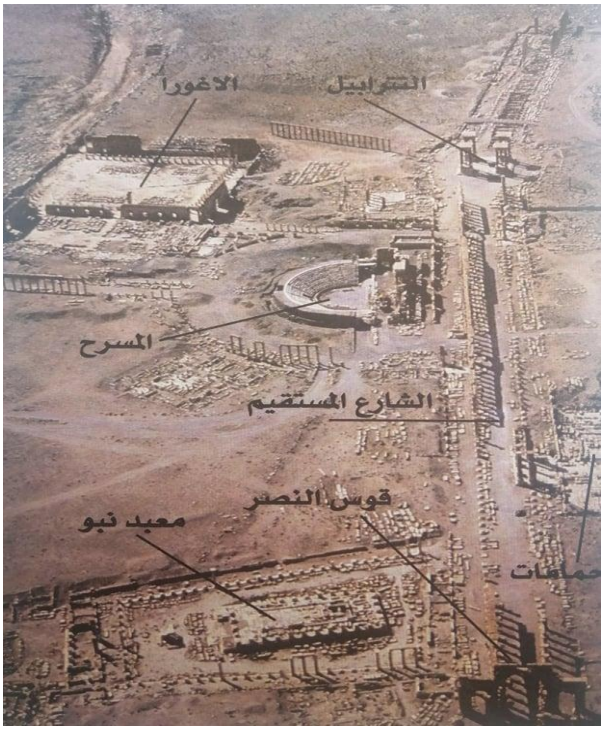

الشّكل (3): صورة توضّح توزّع العمائر على جانبي الشّارع المستقيم
(عبد الكريم، مأمون: 2013، ص40)

الشّكل (4): صورة توضّح الشّارع المستقيم المحاط بالأعمدة في تدمر
(https://www.esyria.sy/2014)

[14] الأسعد، خالد–البنّي، عدنان: 2003، تدمر أثريّاً تاريخيّاً سياحيّاً، دمشق، ص74

1- **القسم الأوّل:** يمتد من بوّابة المعبد حتّى قوس النّصر، وهو أعرض من الأقسام الأخرى في الشّارع المستقيم.

2- **القسم الثّاني:** ممتد بين قوس النّصر والمصلبة (التترابيل).

3- **القسم الثّالث:** بين المصلبة وهيكل الموتى.

4- **القسم الرّابع:** يمتد حتّى بوابة دمشق.

وفي نقطة اتّصال القسم الأوّل والثّاني بُني قوس النّصر لإخفاء انعطاف الشّارع الرّئيسي الّذي بلغ قدره 28 درجة[15].

والجدير بالانتباه ضمن شوارع هذه المدينة، وبخاصّة الشّارع المستقيم، وجود مظهر من مظاهر الرّقي والتّمدّن عند التّدمريين، ألا وهو تكريم أبنائهم اللّذين قدّموا خدمات لمدينتهم تدمر، سواء كانوا أمراء أو قادة جيوش أو رجال دين أو أصحاب القوافل، وكذلك أعضاء مجلس الشّعب وغيرهم، وذلك عن طريق وضع تمثال للشّخص المُكرّم على حاملة تمثال كونسول_Counsol على أحد الأعمدة بالشّوارع والسّاحات العامّة والمعابد، وكان يتم ذلك بمرسوم من مجلس الشّعب، ويُكتب على الحاملة اسم الشّخص المُكرّم، وأحياناً الأعمال الّتي قدّمها لخدمة مدينته، وتُكتب باللّغة التّدمريّة واليونانيّة، وقليلاً ما يتم كتابتها باللّغة الرّومانيّة، كما ويُعتبر مظهر تكريم الأشخاص، ووضع تماثيلهم على حوامل على الأعمدة من الأشياء الّتي تميّزت بها مدينة تدمر، الّتي قلّما نجدها في المدن الرّومانيّة الأخرى[16]. (الشّكل 5+6).

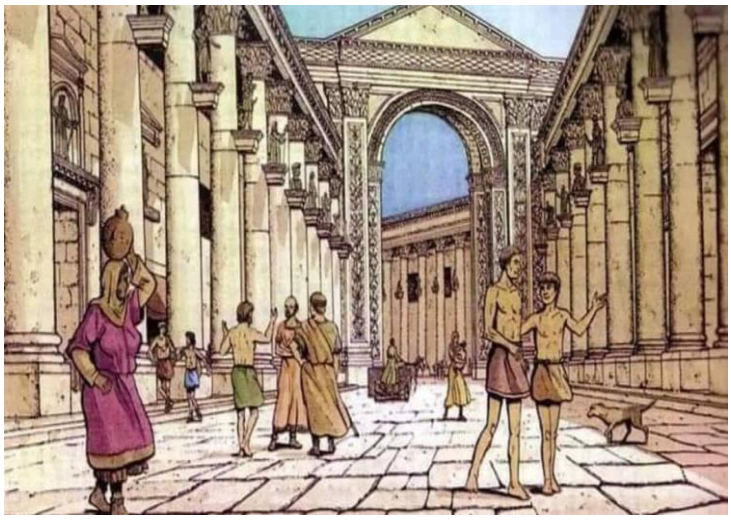

الشّكل (5): صورة تخيّليّة عن شكل الحوامل الموجودة على الأعمدة
(عن: الحريري، خليل، المدير السّابق لمتحف تدمر)

[15] الأسعد، خالد-البنّي، عدنان: 2003، ص75

[16] عن: الحريري، خليل، المدير السّابق لمتحف تدمر

الشّكل (6): صورة لحاملات التّماثيل الكونسول_Counsol على الأعمدة في الشّارع في مدينة تدمر
(عن: الحريري، خليل، المدير السّابق لمتحف تدمر)

هكذا وقد تميّزت تدمر كمدينة شرقيّة، فقد سعى السّكان التّدمريّون أن تبقى المدينة مستقلّة وذات طابع شرقي، حيث أظهرت أصالة الحضارة الشّرقيّة في مختلف المجالات ونواحي الحياة رغم تبعيّتها للامبراطوريّة الرّومانيّة في القرون الثّلاثة الميلاديّة الأولى.

إذ كان الطّابع العمراني في تدمر قد أثّر وتأثّر بالرّوماني، فتجدر الإشارة مثلاً إلى أن الفضل يعود إلى مدينة تدمر في إشاعة التّاج الكورنثي الكلاسيكي على حساب منافسيه من التّيجان الإيونيّة في جميع أنحاء العالم آنذاك، بعد أن أُبتدع في معبد بل في تدمر.

أمّا فن النّحت التّدمري فهو أمر مختلف تماماً، ولا يمكن أن يكون مأخوذ من الرّومان، وخاصّة فن النّحت الجنائزي، فقد كانت التّماثيل الجنائزيّة التّدمريّة ذات نظرة أماميّة، تُشبه الأيقونة، أمّا في روما فقد كانت هذه التّماثيل تحمل حركات[17].

بالإضافة إلى أنَّ أغلب الزّخارف الموجودة ضمن العمائر الدّينيّة في تدمر ذات صبغة شرقيّة.

والمدافن التّدمريّة كانت مميّزة عن باقي المدافن الرّومانيّة، فقد كانت متنوّعة الأشكال، منها البرجيّة والأرضيّة والمنزليّة والقبور الفرديّة.

ويُذكر محاولة التّدمريّون لإنشاء مجتمع مدني له قيادة ومجلس مُنتخب، فيمكننا أن نذكر الشّاب لونجبينوس_Lounjenos الحمصي الّذي أُعطي دور ليكون بجانب الملكة زنّوبيا.

فكل هذه الأمور تدل على أنّه رغم وضوح المؤثّرات الخارجيّة، فإن تدمر بقيت لها شخصيّتها من حيث الأمور الجوهريّة، كالدّين والفن التّدمري[18].

فنجد من خلال كل ما تم ذكره والحديث عنه أن المخطط الأساسي لمدينة تدمر ما هو إلا مخطط هلنستي غير مكتمل، يحوي عمائر هلنستيّة، وإحدى الدّلائل على ذلك هو أن معبد بل التّدمري يقوم على أنقاض معبد هلنستي سابق، وقد تم تطوير هذا

[17] بدر نصره، ابتسام: آثار المشرق في متاحف الغرب، ج1، سورية، مكتبة بالميرا، 2022م، ص80-81

[18] خليف، بشّار: دراسات في حضارة المشرق العربي القديم، ط1، دمشق، 2004م، ص11

المخطط، وتوسيع المدينة من خلال دمج التل المجاور لتدمر بالتّنظيم الحضاري خلال القرنين 1و2م، بالإضافة لبناء العمائر الدّينيّة والمدنيّة الرّومانيّة على حساب الهلنستيّة السّابقة لها.

3_ العمائر الرّومانيّة في المدينة:

تطوّرت المدينة من النّاحية المعماريّة خلال القرون الميلاديّة الثّلاثة الأولى بشكل أساسي، وقد ضمَّ مخططها العديد من المباني المهمّة، نذكر منها:

أ_ المعابد:

لابدَّ لنا قبل الحديث عن المعابد الرّومانيّة في تدمر أن نتطرّق لتصميم المعبد الرّوماني في المدينة، فقد تألّف من:

- **السّور**: ويحيط بالفضاء المقدّس.
- **المدخل الرّئيسي**: ويُفضي إلى الفضاء المقدّس.
- **التمنوس**: وهو الفضاء المقدّس المحاط بالسّور.
- **الهيكل**: مكان وجود تمثال العبادة.
- **المذبح**: هو المكان الّذي تُنحر وتُحرق فيه الأضحية.
- **الثياترون**: هو المكان المخصص للمشاهدين.
- **قاعة المصالي * قاعة الولائم**[19]

وتُعد مدينة تدمر من أكثر المدن غنى في عدد المعابد الرّومانيّة المهمّة الّتي لا تزال تحافظ على حالتها المعماريّة بشكل جيّد، ومن أهم هذه المعابد:

- **معبد بل:** من أهم المعابد في تدمر خاصّة وفي سورية عامّة، كان مكرّساً لعبادة الثّالوث الإلهي الّذي يضم الإله بل بشكل أساسي، بالإضافة للإله يرحبول (إله الشّمس) وعجلبول (إله القمر)، دُشّن سنة 32م، وقد تم الانتهاء من بنائه في القرن 2م، وقد تهدّم إثر الحرب الّتي قامت بين تدمر والرّومان في 272م، وهو يتألّف من الهيكل الرّئيسي الّذي يقع في وسط باحة مربّعة واسعة (تمنوس_Temenos)، يحيط بها سور مزوّد بأروقة محمولة على أعمدة ذات تيجان كورنثيّة، هذه التّيجان الّتي تم ابتداعها في ذلك المعبد، وانتشرت على حساب التّيجان الأيونيّة فيما بعد، ويوجد درج لولبي في الزّاوية الشّماليّة كان يؤدّي إلى سطح الرّواق، وتوجد أمام هذا الهيكل عدّة ملحقات كمذبح الأضحيات وحوض التّطهر وكذلك قاعة الولائم، وقد شُيّد الهيكل على مصطبة مرتفعة، ويحيط به رواق محمول على أعمدة مخددة، وتيجان ذات زخارف كورنثيّة، نُقشت عليه مشاهد دينيّة وأسطوريّة وزخارف حيوانيّة ونباتيّة وهندسيّة[20]. (الشّكل 7+8).

[19] عبد الكريم، مأمون: 2013، ص 90

[20] البنّي، عدنان: 1978م، تدمر و التدمريون، دمشق، ص30

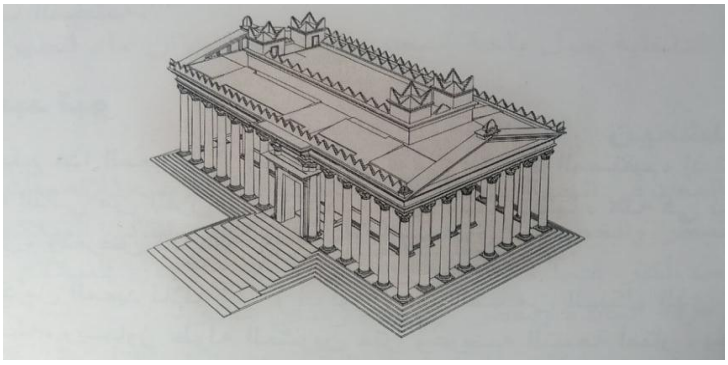

الشّكل (7): إعادة تصوّر للهيكل في معبد بل
(عبد الكريم، مأمون: 2013، ص103)

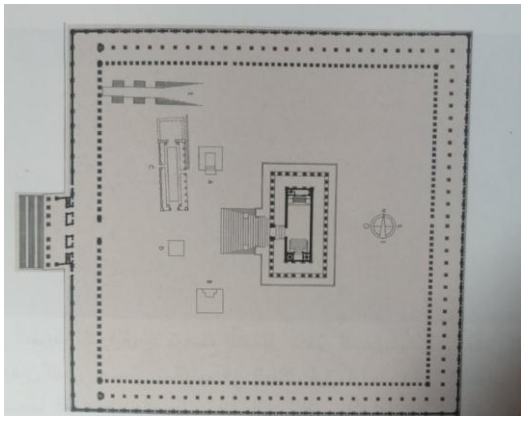

الشّكل (8): مخطط معبد بل في تدمر
(عبد الكريم، مأمون: 2013، ص103)

والجدير بالذّكر أن معبد بل يتميّز عن المعابد الأخرى الموجودة ضمن المدن الرّومانيّة، فمخططه عرضاني، حيث يقابل محوره الباب الرّئيسي للمعبد، على عكس المعابد الرّومانيّة الأخرى، الّتي يكون مخططها طولاني. (الشّكل 9).

كما نجد أن التّماثيل في هذا المعبد الفريد من نوعه تتوزّع ضمن محاريب مخصصة، بينما نجدها في المعابد الأخرى تقوم على قواعد. فنجد هنا أن ما هذا إلّا دليل على وجود صبغة شرقيّة ضمن هذه المدينة، متمثّلة بالعديد من التّفاصيل المعماريّة، كالشّرفات ذات المثلثات المتدرّجة، (الشّكل 7)، ضمن قوالب بناء رومانيّة[21].

[21] Seyrig. H: 1975, *Le Tample de Bel a Palmyre*, Bibliotheque Archeologique ET Historique, BAH 83, Paris, PP. 123-157

الشّكل (9): معبد بل في تدمر
(Seyrig. H: 1975, 83)

- **معبد نبو:**

يُعتبر معبد نبو من أهم المباني الدّينيّة المعروفة بتدمر، يقع إلى الغرب من قوس النّصر، تم البدء ببنائه خلال النّصف الثّاني من القرن 1م، وتطوّر حتّى بداية القرن 3م، ثم انهدم إثر الحرب الّتي قامت بين تدمر والرّومان في 272م، وقد تم تكريسه للإله نبو (أبولون)، وهو الابن الشّهير للإله بل، مخطط المعبد ذو طابع شرقي واضح، ويتألّف من الهيكل الّذي بُني على منصّة في وسطه، ويحيط به رواق محمول على 32 عموداً من الطّراز الكورنثي، أمّا في الدّاخل فنجد محراباً لتمثال الإله، وبقربه توجد آثار درج صاعد نحو السّقف، وخلافاً للمعابد التّدمريّة يحيط بالمعبد سور خارجي على شكل شبه منحرف غير منتظم، إذ تقع البوابة الرّئيسيّة في جهة الجنوب، تكتنفها ثلاث غرف متّصلة مباشرة بالأروقة الدّاخليّة حول باحة المعبد[22]. (الشّكل 10+11)

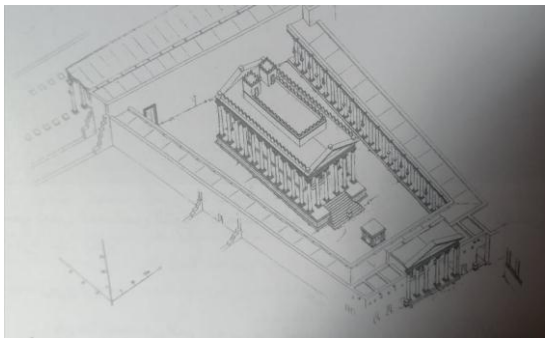

الشّكل (10): مخطط معبد نبو في تدمر
(عبد الكريم، مأمون: 2013، ص105)

[22] البنّي، عدنان: 1978م، ص35

الشّكل (11): صورة توضّح بقايا معبد نبو في تدمر
(عن: الحريري، خليل، المدير السّابق لمتحف تدمر)

- **معبد بعلشمين:**

يقع هذا المعبد في الجهة الشّماليّة من المدينة، تم تكريسه للإله بعلشمين (سيّد السماوات وإله المطر والخصب)، بُني في القرن 2م، وكان قد بُني فوق معبد أكثر قدماً منه يعود إلى بداية القرن 1م، لم يبق من آثاره سوى غرفة المائدة وبعض الأروقة ومدفن عتيق، ويتألّف المعبد من هيكل وباحتين شماليّة وجنوبيّة فيهما أروقة، ونجد في هذا المعبد كل خصائص العمارة الشّرقيّة: العضائد الخارجيّة، النّوافذ، عدم وجود الأساس المدرج تحت الحرم، وقد تم تصنيف هذا المعبد وبحسب متحف اللّوفر في باريس على أنه ضمن أهم المواقع في تدمر. (الشّكل 12+13)

كما وتجدر الإشارة إلى أن هيكليّة المعبد بالحالة الّتي أُحتفظ بها لغاية 2015، قد شهدت عمليّات ترميم وتحسين حول العام 130م، بفضل سخاء أحد الأثرياء التّدمريين، وهو أغريابس_Agrippa، وقد ذُكرت أعماله الخيريّة على قاعدة تمثاله المثبّت على أحد أعمدة الواجهة.

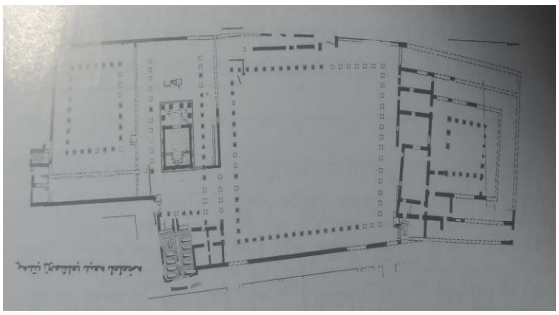

الشّكل (12): مخطط معبد بعلشمين التّدمري
(عبد الكريم، مأمون: 2013، ص105)

الشّكل (13): معبد بعلشمين في تدمر

(https://ar.m.wikipedia.org)

- **معبد اللّات:**

يقع هذا المعبد ضمن معسكر دقلديانوس_Diocletian، ولكن المعبد أقدم بكثير من المعسكر، فقد تم بناؤه في بداية القرن 2م، والآلهة اللّات كانت تقابل الرّبة أثينا الإغريقيّة، ولم تكن هي المعبودة الوحيدة في المعبد، فوفقاً لبعض الرّسومات والنّقوش البارزة كان المعبد يُصلّى فيه للعديد من الآلهة العربيّة.

وما تبقّى من المعبد اليوم هو بعض من أعمدته وحلق الباب وكتل من الحجارة الّتي كانت تُشكّل أرضيّة المعبد، بالإضافة لنقش بارز لأسد كبير يُعرف بأسد اللّات.

وتم اكتشاف هذه المعبد بواسطة البعثة البولونيّة برئاسة جافليكوسكي_Gawlikowski عام 1975م[23](1). (الشّكل 14+15)

الشّكل (14): بقايا معبد اللّات في تدمر

(Gawlikowski. M: 1975, pp35)

[23] Gawlikowski. M: 1975, Le Sanctuaire D'ALLAT a Palmyre, University of Warsaw, pp34

الشّكل (15): تمثال أسد اللّات الّذي كان ينتصب أمام مدخل معبد الرّبة اللّات

(عن: الحريري، خليل، مدير متحف تدمر السّابق)

- **معبد بلحمون ومناة:**

يقع هذا المعبد في قمّة الجبل الغربي (المنطار)، بُني عام 88م، وقد تم تكريسه لإله كنعاني وللآلهة مناة (ربّة عربيّة) إله المنيّة والقدر والمصير، وقد ذُكرت مناة عند الأنباط إلى جانب ذي الشّرى كإله مرافق عُبدت عند العرب كابنة للإله إيل مع اللات والعزّى. يحتوي المعبد على ساحة تأخذ هيئة نصف دائريّة، وتحتوي على منصّة للتّماثيل[24]. (الشّكل 16)

الشّكل (16): واجهة معبد بلحمون ومناة في تدمر

(Teixidor. J: 1979, pp.13-17)

يجب التّنويه هنا أن المعابد التّدمريّة المُستخدمة خلال العصر الرّوماني ضمن المدينة، كانت قد حافظت على صبغتها الشّرقيّة، إن كان بمخططاتها أو زخارفها أو حتّى تكريسها لآلهة شرقيّة، كانت شائعة قبل ذلك العصر.

[24] Teixidor. J: 1979, the Panthron of Palmyra, Laiden, pp. 13-17

بـ- المدافن التّدمريّة:

تقع المدافن في تدمر في أربع مناطق خارج أسوار المدينة (الشّكل 17)، وهي:

- **المقبرة الشّماليّة:**

تتوضّع المقبرة شمال المدينة القديمة، وتحتل جزء من السّهل المجاور من الغرب لتلال جبل الحسينيّة وقلعة ابن معن، وتتوضّع ضمن هذه المقبرة كل نماذج المدافن المعروفة في تدمر[25].

- **المقبرة الغربيّة (وادي القبور):**

تمتد بين سلسلتين من التّلال على طول المسار القديم الّذي كان يصل حمص بتدمر، إضافة إلى مجموعة أخرى من التّلال القريبة في الشّمال والجنوب[26].

- **المقبرة الجنوبيّة الغربيّة:**

تقع إلى الجنوب الغربي من المدينة القديمة، عند أطراف طريق دمشق القصير (أي الطّريق المستقيم، لم يتم العثور على أيّة بقايا لمدافن داخل الأسوار، وهذا يدفع للاعتقاد بأن المقبرة أتت في فترة لاحقة للتّحصينات[27].

- **المقبرة الجنوبيّة الشّرقيّة:**

تقع إلى الجنوب الشّرقي من المدينة، وفي المنطقة الفاصلة بينها وبين الواحة، بُنيت فيها المدافن على طول الطّريق الّذي يقود باتّجاه الفرات، وتُعد هذه المقبرة الأكثر بُعداً عن المدينة بالمقارنة مع المقابر الأخرى[28].

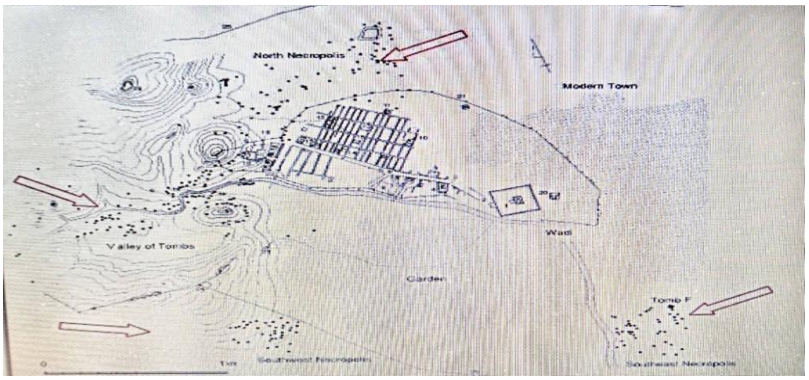

الشّكل (17): صورة توضّح تموضع المدافن بالنّسبة لحدود مدينة تدمر
(سعد، همّام: 2007، ص 136)

[25] عبد الحق، سليم: 1958-1959، "اكتشافات حديثة في المناطق اليونانيّة-الرّومانيّة من سورية"، الحوليّات العربيّة الأثريّة السّوريّة، م8+9، المديريّة العامّة للآثار والمتاحف، دمشق، 218-221

[26] Seyrig. R: 1936, *Recherches dans la necropole de Palmyre*, Syria, Paris, PP. 229

[27] Fellmann. R: 1976, *Le tombeau pres du temple de BA ALSHAMEN*, Palmyre, Strasbourg, PP. 215

[28] سعد، همّام: 2007، المدافن التّدمريّة، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: مأمون عبد الكريم، جامعة دمشق، دمشق، ص 31

ويمكن تصنيف هذه المدافن إلى عدّة أنماط موجودة ضمن المدينة:

- **المدافن البرجيّة:** تتميّز هذه المدافن بوجود قاعدة مربّعة الشّكل بشكل عام، يقوم فوقها برج، ويتألّف كل برج من عدّة طوابق، أمّا الدّفن فيكون تحت سطح الأرض.

ومن المدافن البرجيّة، لدينا:

***مدفن إيلابل البرجي:**

برج إيلا بل قد تم بناؤه في 103م، وقد تبيّن ذلك بفضل النّقوش الّتي عليه، وهو يطل على وادي القبور.

يتألّف البرج من أربعة طوابق، وكان يوفّر 300 مكان للدّفن، وفي داخله وُجدت نقوش بارزة وجداريّات كثيرة تُصوّر المشاهد في تلك الفترة، وقد نُحت على المدفن صور للمتوفّي.

ومن الملاحظ بالتّماثيل الخاصّة بالمتوفّي بأنّها ذات صبغة شرقيّة، فهي أشبه بالأيقونة، حيث كانت نظرات العيون أماميّة، على عكس التّماثيل الجنائزيّة الرّومانيّة الّتي تكون مفعمة بالحركة.

عرّفت نقوش المبنى مؤسسيه: إيلابل وهو من الأسرة الهامّة، وواحد من المؤسسين الأربعة للمعبد، اسمه ماركوس إولبيوس إيلابلوس_Marcus Ulpius Elahbelus، والآخرون هم أخوته: معني وشاكي ومقيمو[29]. (الشّكل 18+19+20).

الشّكل (18): صورة توضّح برج إيلابل

(Will. E: 1949, PP301)

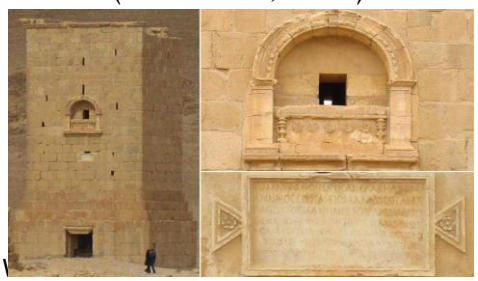

الشّكل (19): صورة توضّح النّقوش المكتوبة على واجهة البرج

(Will. E: 1949, PP301)

[29] Will. E: 1949, *La tour funeraire de la Syrie ET les monuments apparentes*, Syria, XXVI, Paris, pp. 301

الشّكل (20): توضّح السّقف المليء بالمشاهد والرّسومات، بالإضافة لتمثال منحوت للمتوفّي
(Will. E: 1949, PP302)

- **المدافن الأرضيّة:** هذا النّمط من المدافن يكون جماعيّاً بشكل عام، حيث يضم المدفن الواحد أفراداً ينتمون لأسرة واحدة.

مدفن الأخوة الثّلاثة:

يقع في المنطقة الجنوبيّة الغربيّة لمدينة تدمر، ويعود تاريخه إلى حوال منتصف القرن 2م، تم تأسيسه من قِبل الأخوة: مالئ، سعدي، ونعماي.

تتقدّم المدفن بوابة حجريّة ضخمة، يعلوها ساكف مزيّن بالكورنيش، ويتألّف من ثلاثة أروقة، رواق مركزي في الوسط، يحتوي على صفوف من المعازب من كل جانب، وفي نهايته توجد غرفة مربّعة الشّكل، تحيطها في كل جانب من جوانبها الثّلاث أربعة صفوف من المعازب. وما يميّز هذا المعبد هو لوحاته الجداريّة الملوّنة الّتي تمثّل الفن السّوري الشّرقي والهلنستي بقالب روماني، فالمواضيع أساطير هلنستيّة تمثّل إحداها أسطورة أخيل من حرب طروادة المذكورة بالإلياذة، ويمثّل أخيل حسب الثّقافة التّدمريّة (الرّوح الّتي ترتدي ثياباً مستعارة، أي الرّوح في الجسد)، فهنا نجد أن مضامين هذه الرّسومات تؤخذ من المنظور الشّرقي، وإلى جهة اليمين من الرّواق المركزي الّذي يحتوي على الرّسومات يوجد رواق يحتوي على ثمانية صفوف من المعازب من كل جانب، تتصدّره ثلاثة توابيت حجريّة، كانت تُخفي خلفها أربعة صفوف من المعازب، كذلك يوجد إلى الشّمال منه رواق آخر شبيه بالرّواق السّابق غير أنّه لا يضم التّوابيت الحجريّة[30]. (الشّكل 21+22+23).

الشّكل (21): صورة توضّح مدخل مدفن الأخوة الثّلاثة
(الأسعد، خالد–البنّي، عدنان: 2003، ص112)

[30] الأسعد، خالد–البنّي، عدنان: 2003، ص111

الشّكل (22): صورة توضّح الرّواق المركزي برسوماته الجداريّة
(الأسعد، خالد–البنّي، عدنان: 2003، ص112)

الشّكل(23): الرّواق الّذي يضم التوابيت الحجريّ'
(الأسعد، خالد–البنّي، عدنان: 2003، ص113)

- **المدافن المنزليّة:** هذا النّمط من المدافن يتقدّمه مدخل جميل وباب من الحجر المنحوت، وفي داخله باحة مكشوفة، وتحيط به أروقة ذات أعمدة، وحولها من الدّاخل مصاطب بُنيت فيها القبور، وأمامه توضع الأسرّة الجنائزيّة للعائلة المالكة.

مدفن قصر الحيّة:

وهو مدفن قام غاليكوفسكي_Gawlikowski باكتشافه، وعُرف بهذا الاسم نتيجة اكتشاف رسم حيّة على تاج عضاضته الشّرقية الجنوبيّة، وقد كانت المديريّة العامّة للآثار والمتاحف قد أعادت بناء جداره الجنوبي والشّرقي عام 1946م.

يتألّف المدفن من بناء مربّع الشّكل، يرتفع فوق قاعدة، في كل زاوية منه عضاضة تستند على القاعدة، جدرانه مبنيّة من حجارة كبيرة مشذّبة، أمام المدخل تم العثور على السّاكف الّذي يحمل البارة التأسيسيّة للمدفن، وهي باسم يوليوس أوروليوس مارونا_Lulius Arulius Marona، وتاريخ تأسيس المدفن عام 236م[31]. (الشّكل 24+25)

[31] سعد، همام: 2007، ص67

الشّكل (24): مدفن مارونا، أو المعروف باسم قصر الحيّة
(سعد، همام: 2007، ص169)

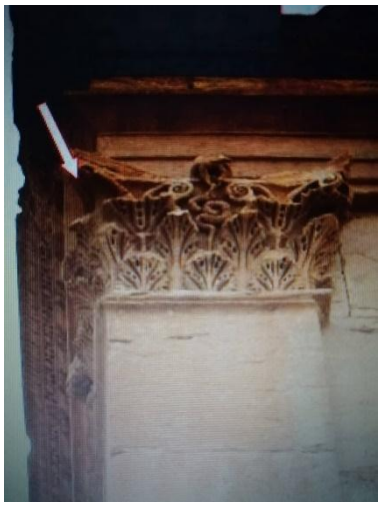

الشّكل (25): صورة تمثّل الأفعى على إحدى عضائد مدفن مارونا
(سعد، همام: 2007، ص170)

• **القبور الفرديّة:** هي قبور بسيطة محفورة في الصّخر الكلسي أو البازلتي أو في التّربة، وعادة ما يُعثر في داخلها على تابوت حجري.

لا نعرف الكثير من المعلومات عن القبور الرّومانيّة في تدمر، والسّبب هو عدم العثور على أمثلة محفوظة بشكل جيّد، غير أنّه قد تم العثور على العديد من الشّواهد الّتي تدل على وجود قبور فرديّة، فهذه الشّواهد مستطيلة الشّكل، مدوّرة في الأعلى، الجزء السّفلي منها كان مجهّز ليتم غرسه في الأرض، بحيث تبقى منتصبة بجانب القبر، عموماً كان يبلغ ارتفاع هذه الشّواهد حوالي 30سم، بعضها كان يحمل نقوش كتابيّة باللّغة التّدمريّة (الشّكل 26)، وبعضها الآخر زينة تصويريّة جاهزة، وكذلك تم العثور على بقايا لتوابيت من الطّين المشوي أو الجص، وهذه التّوابيت كانت مدوّرة باتّجاه الأطراف، أي تأخذ شكل نصف دائري، الجزء العلوي منها

أكثر عرضاً وأقل سماكة من الجزء السّفلي، وشكل هذه التّوابيت معروف في بلاد الرّافدين، واستخدامه كان في الفترة الواقعة بين القرن 1 ق.م حتّى القرن 2م[32].

وهكذا نرى التّأثيرات الأخرى الموجودة ضمن هذه المدينة الغنيّة حضاريّاً، فقد أثّرت وتأثّرت بمجمل الحضارات المعاصرة لها، إمّا معماريّاً أو فنّياً أو حتى عقائديّاً.

الشّكل (26): شاهدة قبر رومانيّة تم العثور عليها في تدمر
(سعد، همام: 2007، ص199)

جـ_ المسرح الرّوماني:

يقع مسرح تدمر الرّوماني في وسط المدينة جنوب الشّارع الرّئيسي، وقد بقيت أطلاله تحت الرّمال حتّى عام 1953م عندما باشرت المديريّة العامّة للآثار والمتاحف بالكشف عنه.

تم تشييده على أرض منبسطة، كغيره من المسارح الكبرى مثل مسرح بصرى وأفاميا وشهبا، وهو مبني بشكل نصف دائرة تحف به مدرّجات[33].

تم ربط المسرح بالشّارع الرّئيسي بواسطة رواقين، الأوّل يتّصل بالرّواق المعمّد الخارجي للمسرح، ويؤدّي الثّاني إلى الباب الخلفي لمنصّة الممثّلين، الّتي شُيّدت في نهاية القرن 2 وبداية القرن 3م، بينما بُني المدرّج في مرحلة أقدم فيعود تاريخ بنائه إلى بداية القرن 2م، وقد تم تزيينه بالعديد من الأعمدة ذات الطّراز الرّوماني الّتي تحمل تيجاناً منحوتة بزخارف نباتيّة وهندسيّة رائعة، ويشكّل تنظيم المسرح في وسط المدينة وممرّاته الرّئيسيّة المرتبطة بالشّوارع الرّئيسيّة صورة مثاليّة عن مخطط المدن الكبرى في الامبراطوريّة الرّومانيّة، بالإضافة إلى أن المسرح بذاته يَشكّل صورة نموذجيّة عن المسارح الرّومانيّة، لاسيّما واجهته الأماميّة الفخمة الغنيّة بالعناصر التّزيينيّة والفنّية الرّائعة[34]. (الشّكل 27).

فمن الملاحظ أن المسرح الرّوماني في تدمر قد حمل كافّة العناصر المعماريّة والتّزيينيّة المُتّبعة من قِبل الرّومان عند بنائهم أي مدرّج في مدينة مهمّة، وهذا ما يؤكّد أهمّية هذه المدينة بالنّسبة لهم، ومحاولاتهم لإظهارها بأفضل صورة عن طريق التّخطيط والعمائر وحتّى الزّخارف.

[32] سعد، همام: 2007، ص75
[33] البنّي، عدنان: 1978م، ص81
[34] عبد الكريم، مأمون: 2013م، ص165

الشّكل (27): صورة توضّح موقع مسرح تدمر وشكله النّصف دائري

(WWW.Wikipedia.org)

د_ قوس النّصر:

هو شكل بناء مؤلّف من قوس أو أكثر منحني أو حتّى مستقيم ليُشكّل ما يُعرف ببوّابة النّصر، مرفوع على مجموعة أعمدة، وقد يختلف التّصميم والشّكل، لكنّه ثابت من حيث المبدأ.

وقوس النّصر الرّوماني في تدمر هو عبارة عن بوابة ذات ثلاثة مداخل، فوقها قوس تزيّنه نقوش هندسيّة ونباتيّة، بناه سيبتموس سيفيروس_Septimus Sevirus بين عامي 193 و211م، وترمز أقواس النّصر الرّومانيّة للنّصر في معركة أو حرب أو قد تُبنى من أجل حاكم أو ملك، وهي تصميم روماني بحت[35]. (الشّكل 28)

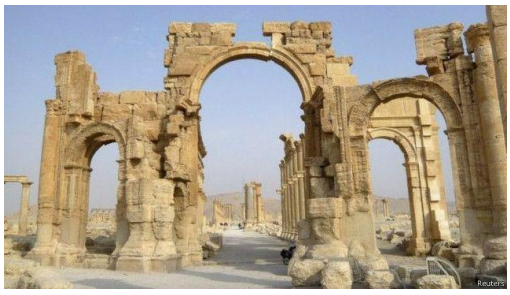

الشّكل (28): صورة توضّح قوس النّصر الرّوماني في تدمر بمداخله الثّلاث

(WWW.BBCNEWS.COM)

نـ- الحمامات الرّومانيّة:

في حين أن الحمامات في تدمر لم يتم الحفاظ عليها، إلّا أن بقاياها تقدّم فكرة مهمّة عن شكل المرافق العامّة خلال العصر الرّوماني، فقد تم تنفيذ الحمّام الرّوماني في تدمر على أنقاض ما يُعرف بقصر زنّوبيا، وتم تسميتها بحمامات

[35] Starcky. J, M. Gawlikowski: 1989, Palmyre, Paris, pp123

دقلديانوس_Diocletian، لأنها قد بُنيت في عهده، وتقع الحمامات شمال غرب قوس النّصر، وشرق المسرح، وتتميّز هذه الحمامات بواجهة مؤلّفة من أربعة أعمدة غرانيتيّة جُلبت من مصر ولا تمثّل تقليد محلّي، وهي ماتزال قائمة[36]. (الشّكل 29).

فالحمامات بفكرتها العامة تصميم روماني كان يُبنى في جميع المدن التّابعة للرّومان، باختلاف عددها وأحجامها ومدى فخامتها، ومع أننا لم نستطع العثور على بقايا تُعطي صورة متكاملة عن شكل الحمامات في تدمر، إلّا أنه وباعتقادنا أنها كانت فخمة ومترفة، وذلك لما تحمله مدينة تدمر من أهمّية لدى الرّومان.

الشّكل (29): الأعمدة الغرانيتيّة القائمة في حمامات دقلديانوس

(https://syriaphotoguide.com.lensonsyria.com/wp-content/uploads/2015/01/header.png)

هـ_ الفوروم/السّوق:

سُمّيت الأسواق في العصر الرّوماني (الفوروم_Forum)، وقد تم استخدامها للاجتماعات العامّة، كما كانت تتم فيها المبادلات التّجاريّة، وقد تألّف السّوق في مدينة تدمر من باحة مربّعة ومغلقة، تحيط بها أروقة داخليّة، ولهذا السّوق أحد عشر مدخلاً، حيث تقع ثلاثة مداخل رئيسيّة في الجدار الجنوبي والشّرقي والشّمالي، كما يمكن رؤية سبيلين للسّقاية في الزّاوية الشّماليّة الشّرقيّة، وتم العثور أيضاً على بقايا منصّة كانت تُستخدم للخطابة أو لأغراض الإعلان التّجاري، والجدير بالذّكر هنا هو وجود الكونسول_Counsol، وهي حاملات التّماثيل على الأعمدة[37]. (الشّكل 30+31)

الشّكل (30): صورة للفوروم الرّوماني في تدمر، توضّح الباحة المربّعة، والأعمدة الدّاخليّة الّتي كانت تحمل سقوفاً خشبيّة.

(عبد الكريم، مأمون: 2013م، ص182)

[36] https://syriaphotoguide.com.lensonsyria.com/wp-content/uploads/2015/01/header.png

[37] البنّي، عدنان: 1978م، ص255

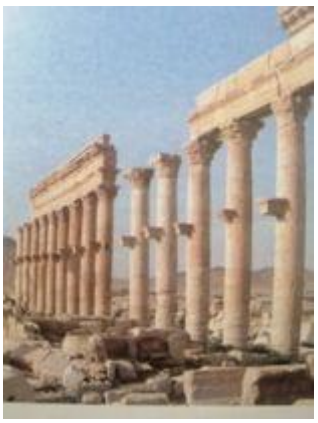

الشّكل (31): صورة للكونسول_Counsol على الأعمدة في السّوق الرّومانيّة في تدمر
(عبد الكريم، مأمون: 2013م، ص183)

يـ- معسكر دقلديانوس-Strata Diocletiana:

يقع في نهاية الشّارع المستقيم إلى الغرب منه مباشرة، بجوار معبد اللّات، وقد بُني المعسكر في عهد الامبراطور دقلديانوس_Diocletian عندما حاول تحصين المدينة ضد الهجمات السّاسانيّة، وقد أشارت الدّراسات الأثريّة إلى وجود بقايا مبنى أقدم في هذا الموقع قبل أن يتحوّل إلى معسكر[38](1).

كانت هذه المعسكرات الرّومانيّة تُبنى في المدن التّابعة لها بهدف تحصينها، وتجييش السّكان ضمن الجيوش الرّومانيّة، وهذا ما نراه حيث تم ضم مجموعات كبيرة من التّدمريين في صفوف الجيوش الرّومانيّة، وهذا ما يدل على الاستغلال العسكري للمدن المُحتلّة فيما يخدم المصالح السّياسيّة الرّومانيّة.

فكان الرّومان بسيطرتهم على المدن يسعون بالحصول على أقصى فائدة بجميع الجوانب، الاقتصاديّة والسّياسيّة والعسكريّة، بالإضافة لتوسيع رقعة امبراطوريّتهم على حساب البقع الجغرافيّة القريبة والبعيدة عن عاصمتهم روما.

المبحث الثّاني: دراسة مقارنة بين مخططات المدن

1- مقارنة بين مخططات مدن سورية الشّماليّة والوسطى خلال العصر الرّوماني (تدمر وأفاميا_أنموذجاً):

إن معظم مدن الشّمال السّوري قد تم بناؤها وفقاً لطبوغرافية الموقع، بالإضافة لظهور المخطط الشّطرنجي الكامل في معظم أجزاء هذه المدن، مثل أفاميا على وجه التّحديد والخصوص، (الشّكل 32)، ولا يمكننا القول أن هذه الميزة تفرّدت بها مدن الشّمال السّوري وحدها بل وُجدت في مدن سورية الوسطى كتدمر، حيث تحتوي على تقسيمات شطرنجيّة في أجزاء كبيرة منها.

أمّا بالنّسبة للاختلاف الّي يطأ المخطط، فيمكننا القول بأن مخططات مدن الشّمال السّوري كانت أكبر وأعظم شأناً من مخططات مدن سورية الوسطى خلال الفترة السّلوقيّة، وتم معرفة ذلك من خلال المصادر التّاريخيّة، فقد قام الملك سلوقس الأوّل_ Seleucus I بتأسيسها في 300 ق.م، وكانت العاصمة العسكريّة للدّولة السّلوقيّة، وبالتّأكيد بقيت أهمّيتها الكبيرة خلال فترة الاحتلال الرّوماني لها، ويدل على ذلك ضخامة منشآتها، حيث أن الشّارع المستقيم في أفاميا يجتاز المدينة من شمالها إلى جنوبها بطول 1850م،

[38] عبد الكريم، مأمون: 2013م، ص201

وهو بالتّالي أطول من الشّارع الرّئيس في تدمر، والّذي يبلغ طوله 1135م، وقد بلغ عرض الشّارع في مدينة أفاميا 37.5م، وقد تم تخصيص جزء منه لسير العربات الّتي يمكن رؤية آثار عجلاتها في بلاطه[39].

وينقسم الشّارع إلى ثلاثة قطّاعات تحددها أعمدة تكريميّة أُقيمت عند التّقاطعات الرّئيسيّة.

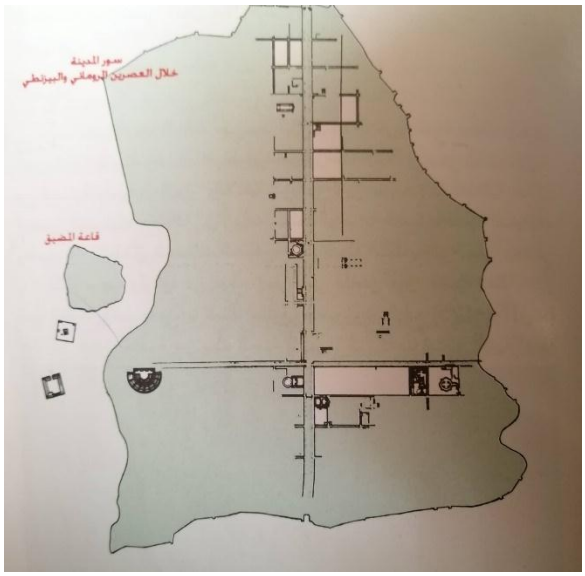

الشّكل (32): صورة توضّح مخطط مدينة أفاميا

(Will. E: 1989. PP 223-250)

يرى جان شارل بالتي أن مخطط المدينة هو مخطط هلنستي بالأساس، فحتّى تاريخ إنشاء الشّارع المستقيم، الكاردو_Cardo يعود للعصر الهلنستي، ولكن صفوف الأعمدة ذات التّخطيط الحلزوني مع تيجانها الكورنثيّة فتعود إلى العصر الرّوماني، على عكس مدينة تدمر الّذي كان مخططا هلنستي لكن قد تم التّعديل عليه وتوسيع حدود المدينة في العصر الرّوماني[40].

وبالمقارنة مع مسارح سورية الوسطى، نرى أن المسارح في الشّمال السّوري بلغت من العظمة والحجم ما لم تبلغه مدن سورية الوسطى، حيث أن أكبر مسرح في سورية هو مسرح أفاميا، حيث يبلغ قطره 139م، بينما قطر مسرح تدمر يبلغ 40م فقط، وفيما شملت التّوسعات الرّومانيّة معظم مدن سورية الوسطى لفترات طويلة من الزّمن، على العكس من مدن سورية الشّماليّة الّتي هُجرت بعد فترات قليلة من احتلال الرّومان لها، فنرى التّحصينات الرّومانيّة بشكل كبير في مدينة تدمر، حيث تظهر بشكل جلي للعيان مما يدل على استمرار العمل بها، على عكس من مدينة أفاميا[41].

أمّا بالنّسبة للحمامات ضمن المدينتين فنحن لا نرى أي فروقات واضحة، فالحمامات قد تم إنشاؤها في جميع المدن الرّومانيّة، والأسواق أو ما يُعرف بالفوروم_Forum كان له نفس الوظيفة، باختلاف وجود الكونسول_Counsol فقط، أمّا بالنّسبة للمعابد فنجد أن أفاميا قد احتوت على معابد لحوريّات الماء، بالإضافة لمعابد الآلهة المعبودة، أمّا في مدينة تدمر فنجد أن المعابد كانت

[39] [1]Will. E: 1989, Les villes de la Syrie A l epoque Hellenistique ET Romaine, in: Syria, Sarrbrucken. PP 223-250

[40] [1]الطّيب، قديم: 2013، المدن السّوريّة ودورها السّياسي والاقتصادي في الفترة الرّومانيّة أنطاكية وتدمر نموذجاً، مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة، الجزائر، ص43

[41] جاموس، بسام: 2016، المسارح في سورية، المديريّة العامّة للآثار والمتاحف، دمشق، ص65

فقط بأسماء الآلهة[42]، والمدافن في أفاميا كانت في أبراج أو غرف تحت الأرض أو قبور محفورة داخل الصّخر، وهذا ما رأيناه أيضاً في مدينة تدمر، حيث وُجدت المدافن البرجيّة والأرضيّة والقبور الفرديّة، لكن إضافة لذلك كان هناك نوع رابع ألا وهو المدافن المنزليّة، أمّا بالنّسبة للمعسكر، فلم تُشر الأبحاث لوجود معسكر في مدينة أفاميا، على عكس وجوده بمدينة تدمر، فنجد بالشّكل العام أن الفروقات بين المدن الرّومانيّة في الشّمال والوسط السّوري هي فروقات بسيطة تابعة للظّروف الجغرافيّة بالمقام الأوّل، ثم الظّروف السّياسيّة للحكم.

2-مقارنة بين مخططات مدن سورية الجنوبيّة والوسطى خلال العصر الرّوماني (بصرى وتدمر_ أنموذجاً):

من الملاحظ أن مدن سورية الوسطى تتشابه إلى حد كبير مع مدنها الجنوبيّة خلال العصر الرّوماني، فعلى وجه التّحديد والخصوص وبالحديث عن المدن المُختارة (بصرى وتدمر) فنجد أن كُلّاً منها قد بُني وفق الطّراز الشّطرنجي أو ما يُعرف بالتّخطيط الهيبودامي، وقد كانت مجمل المدن المبنيّة خلال العصر الرّوماني في كلا المنطقتين تحمل العناصر المعماريّة نفسها، كالمسارح والحمامات وأقواس النّصر والأسواق أيضاً.

ولكن الجدير بالذّكر أن بصرى قد حملت صفة عاصمة الولاية العربيّة في ذلك الوقت، فتم بناء عدّة مباني هامّة تهدف إلى تجميل المدينة، كالسّقايا الشّرقيّة والغربيّة، أو ما يُعرف بمعبد حوريّات المياه، وقد أُوليت أهمّية خاصة كونها واجهة لبقيّة المستعمرات الرّومانيّة، فنجد مثلاً وجود مسرحين بدلاً من المسرح الواحد، وهما المدرّج الضّخم_Theatre، ومسرح الموسيقا_Amphitheatre. كما لُوحظ وجود أكثر من حمام واحد، فهناك حمامات المعسكر والحمامات المركزّية والحمامات الجنوبيّة، أمّا بالنّسبة للأسواق فكانت هناك السّوق الأرضيّة _الكريبتوبورتيك، والسّوق العامّة المعروفة في كافة المدن الرّومانيّة وهي الفوروم_Forum. وقد حملت كلا المنطقتين مكاناً مخصصاً ليكون معسكراً بهدف حماية المدن وتجييش السّكان ضمن الجيوش الرّومانيّة[43]. (الشّكل 33)

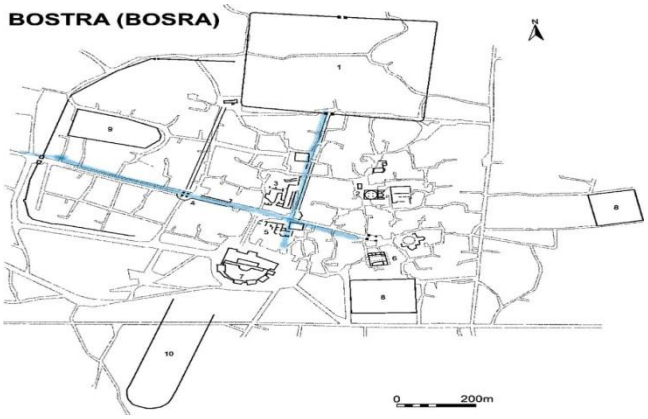

الشّكل (33): مخطط مدينة بصرى خلال العصر الرّوماني

(Dentzer. J: 2007, PP.60)

[42] [2]Will. E: 1989. PP223-250

[43] [1]Dentzer. J: 2007, Bosra aux portes de l'Arabie, Beyrouth, PP. 56

وبالنّسبة للمعابد فنجد زيادة في عدد المعابد التّدمريّة بالمقارنة مع المعابد في بصرى، وهذا إن دلَّ على شيء فيدل على الطّابع الدّيني والعقائدي، الّذي كان يسود مدينة تدمر خلال العصر الرّوماني، فقد تنوّعت الآلهة والمعبودات، وكَثُرت معابدها[44].

وبالحديث عن المدافن فكانت المدافن التّدمريّة مميّزة من حيث البناء ونظام الدّفن، فكما ذكرنا سابقاً أنها شملت المدافن البرجيّة والأرضيّة، بالإضافة للقبور الفرديّة، أما الدّفن في تدمر فقد كان ضمن مقابر بسيطة، وتقع خارج حدود المدينة.

فمن هنا نلاحظ أن المدن الرّومانيّة كانت متشابهة بالطّابع العام في كل من سورية الشّماليّة والوسطى والجنوبيّة، لكن الاختلاف قد تبع لطبوغرافيّة المكان، والأهمّية التي اكتسبتها كل مدينة بشكل مستقل خلال هذه الحقبة من الزّمن.

النّتائج:

اهتمَّ المؤرّخون والباحثون منذ بدايات القرن العشرين بمسألة عمران سورية خلال العصر الرّوماني، وقاموا بطرح عدّة فرضيّات حول أهمّية هذا العصر في عمران سورية وتطوّرها، فمنهم من رأى أن أساس التخطيط الرّوماني جاء من العصر الهلنستي السّابق له، وآخرون أيّدوا فكرة أن الحركة العمرانيّة قد بدأت في العصر الرّوماني بشكل مباشر.

فتبيّن لنا من خلال الدّراسة السّابقة أن الرّومان قد حاولوا إنشاء مدن متشابهة فيما بينها عندما بدأوا بالغزو والاحتلال، وكانت هذه المدن بمجملها متشابهة أيضاً إلى حدٍّ ما مع العاصمة الأم (روما)، وعلى وجه الخصوص والتّحديد نجد أن مدينة تدمر قد أُوليت أهمّية كبيرة تبعاً لأهمّيتها الجغرافيّة كونها طريق للقوافل التّجاريّة، بالإضافة لاستثمار شعبها ضمن صفوف الجيوش التّابعة للسّلطة الرّومانيّة، فقد أسس الامبراطور تراجان_Trajan أوّل فرقة نظاميّة عسكريّة في الجيش الرّوماني في تدمر، كما أقام أوّل حامية رومانيّة فيها بهدف توسيع حدود الامبراطوريّة نحو الشّرق، وقد لعبت المدينة دوراً هامّاً فيما يخص العلاقات الّتي تربط الامبراطوريّة الرّومانيّة مع الفارسيّة.

وقد تم الاهتمام بعماراتها ومنشآتها بشكل جاد، فبُنيت مجمل العمائر وفق الطّراز الرّوماني المُتّبع، كالمدرّج والحمام وقوس النّصر والمدافن والمعابد وغيرها من عمائر خاصة كالمنازل والقصور، وكل هذا ضمن مخطط مدينة قد نم تحديده ورسم أبعاده سابقاً، وهو المخطط الشّطرنجي _الهيبودامي، بشارعيه الكاردو والديكومانوس، حيث أن تطوّر شارع الأعمدة خلال هذا العصر كان مرتبطاً بتطوّر المدينة عمرانيّاً، فقد أُقيم من أجل ربط أقسام غير المنسجمة من تجمّع عمراني ومنحه نوعاً من الوحدة المعماريّة المهيبة.

حيث أن هذا النّمط المعماري يمكن أن يخفي وراء صفوف المحلّات التّجاريّة نسيجاً عمرانيّاً ذي تنظيم مختلف كالكتل المتراصّة من السّكن التّقليدي، وتنفتح الصّروح الرّئيسيّة للمدينة بشكل عام على أروقة شوارعها المتعامدة.

ولكن مع كل هذا لم نستطع تجاهل الأثر الشّرقي جلي الوضوح ضمن العمائر والفنون التّدمريّة، فقد ظهر بشكل كبير ضمن الأبنية الدّينيّة، بما يخدم عبادة الآلهة التّدمريّة لا الرّومانيّة، فقد حافظ التّدمريون على عقائدهم الدّينيّة أيضاً، بالإضافة لمحافظتهم على تقاليدهم، فنجد مثلاً أن المنحوتات العسكريّة أو المدنيّة في المدينة كانت ذات ثياب محتشمة، على عكس نظيرتها الرّومانيّة، كما ظهر الطّابع الشّرقي بالعديد من الزّخارف المنحوتة ضمن العمائر، وبعض التّفاصيل المعماريّة الخاصّة الّتي تم ذكرها من خلال هذا البحث.

[44] [1]Dentzer. J: 2007, PP. 61

بالإضافة لذلك قد تأثرت تدمر خلال نفس الفترة بالحضارات الشّرقيّة الأخرى، فوجدنا آثار رافديّة ضمن العمائر الدّينيّة، بالإضافة لوجود بعض الآثار من مصر، ومنها الأعمدة الغرانيتيّة المستخدمة بحمام دقلديانوس.

فنستنتج في نهاية البحث أن الغزو الرّوماني للبلاد واحتلالها قد ساهم بشكل لا يمكن إنكاره في تطوير الأنظمة المعماريّة والإنشائيّة فيها، كما أنّه قد ساهم في تنظيم هيكلة هذه المدن وفق ما يتّفق مع مصالحه فيها والطّبيعة الجغرافيّة والطّبوغرافيّة لكل منها، مروراً بتأثير الحروب الّتي قادها الرّومان أو دخلوا فيها عنوة على مدى ازدهارها الاقتصادي والسّياسي والاجتماعي وغيرها، ومدى قوّة التّدمريين في محاولتهم الحفاظ على ثقافتهم الشّرقيّة، الّتي كانت تظهر ممتزجة بالتّأثير الرّوماني، فتشكّل صورة فريدة من نوعها ومميّزة.

الخاتمة:

يتّضح لنا من خلال هذا البحث أن الرّومان قد تركوا بصمة معماريّة واضحة في المدن الّتي وقعت تحت سيطرتهم، حيث حاولوا صَبغ هذه المدن بالطّابع المعروف لهم في وطنهم.

فكانت الدّراسة معتمدة على العمائر الخاصّة بهم ضمن مدينة تدمر المُختارة، كونها أحد أهم مدن الاستيطان الرّوماني في سورية الوسطى خلال ذلك الوقت كما ذكرنا سابقاً، وقد سلّطت هذه الدّراسة الضّوء على النّظام الإنشائي للمدن المأخوذ بالأصل من أسلافهم الهلنستيين.

فتم تحديد المنشآت المعماريّة وتحديد مواقعها وشرحها بشكل مختزل وواضح، لتعطي للقارئ صورة عامّة عن المدينة، دون الخوض في جميع التّفاصيل الّتي تحتاج إلى مجموعة من المؤلّفات لشرحها بشكل وافي.

والجدير بالذّكر أن الفترة الرّومانيّة في المدينة كانت أقوى من جميع الفترات اللاحقة أو السّابقة أيضاً، فالمدينة ما تزال إلى الآن محافظة على طرازها الرّوماني الطّاغي على جميع الأجزاء الّتي تعود إلى الفترات الأخرى.

فالمدرّج الرّوماني مثلاً من أوضح معالم المدينة وأكثرها شهرة، وقد بقيت تدمر أيضاً محافظة على مخططها الشّطرنجي نوعاً ما، حيث يظهر بوضوح جلي من خلال الصّور الجوّية.

وعلى أثر هذه الصّورة المعروفة عن المدينة تم هذا البحث.

المراجع References:

1- الأسعد، خالد- البنّي، عدنان: 2003، تدمر أثريّاً تاريخيّاً سياحيّاً، دمشق.

2- البنّي، عدنان: 1978م، تدمر والتدمريون، دمشق.

3- الحريري، خليل، المدير السّابق لمتحف تدمر.

4- الطّيب، قديم: 2013، المدن السّوريّة ودورها السّياسي والاقتصادي في الفترة الرّومانيّة أنطاكية وتدمر نموذجاً، مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة، الجزائر.

5- بالتي، جان شارل: 2004، "تحوّلات واستمرارات الفضاء العمراني منذ التّأسيس الهلنستي وصولاً للمدينة الرّومانيّة البيزنطيّة"، المدينة في سورية وأقاليمها: الموروثات والمتحوّلات، ترجمة: محمد دبيات، دمشق.

6- بدر نصره، ابتسام: آثار المشرق في متاحف الغرب، ج1، سورية، مكتبة بالميرا، 2022م.

7- جاموس، بسام: 2016، المسارح في سورية، المديريّة العامّة للآثار والمتاحف، دمشق.

8- خليف، بشّار: دراسات في حضارة المشرق العربي القديم، ط1، دمشق، 2004م.

9- سعد، همّام: 2007، المدافن التّدمريّة، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: مأمون عبد الكريم، جامعة دمشق، دمشق.

10- عبد الحق، سليم: 1958-1959، "اكتشافات حديثة في المناطق اليونانيّة-الرّومانيّة من سورية"، الحوليّات العربيّة الأثريّة السّوريّة، م8+9، المديريّة العامّة للآثار والمتاحف، دمشق.

11- عبد الكريم، مأمون: 2013، آثار بلاد الشّام خلال العصور الكلاسيكيّة، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

12- علي الدّليمي، خلف حسين: 2006م، تخطيط المدن (نظريّات-أساليب-معايير-تقنيات)، جامعة الأنبار، العراق.

13- ميخالوفسكي، كازيمير: 1964، "التّنقيبات البولونيّة في تدمر عام 1963"، الحوليّات الأثريّة العربيّة السّوريّة، تعريب: بكري الأسود، م14، دمشق.

14- Albert. A: 1926, Recherches archeologiques a Palmyre, in: Syria.

15- Ausgrabungen der Forschungsgemeischaft in Uruk-Warka, PP 65-77

16- Dentzer. J: 2007, Bosra aux portes de l'Arabie, Beyrouth.

17- Fellmann. R: 1976, Le tombeau pres du temple de BA ALSHAMEN, Palmyre, Strasbourg.

18- Forest, J.D:2006. L'apparition de l'etat en Mesopotamie, in Charvat, Univerzita Karlova v Praze, Paris, 2002, PP 11-18

19- Gawlikowski. M: 1975, Le Sanctuaire D'ALLAT a Palmyre, University of Warsaw.

20- Pfister. F: 1940, Texteles de Palmyre, Paris.

21- Seyrig. R: 1936, Recherches dans la necropole de Palmyre, Syria, Paris.

22- Starcky. J, M. Gawlikowski: 1989, Palmyre, Paris.

23- Tarn. W: 1983, La Civilization Hellenistique, Paris, Payot.

24- Teixidor. J: 1979, the Panthron of Palmyra, Laiden.

25- Will. E: 1949, La tour funeraire de la Syrie ET les monuments apparentes, in: Syria, XXVI, Paris, pp. 301.

26- Will. E: 1983, Developpement urbain de Palmyre: temoignages epigraphiques anciens ET nouveaux, in: Syria.
27- Will. E: 1989, Les villes de la Syrie A l epoque Hellenistique ET Romaine, in: Syria, Sarrbrucken.
28- http://arab-ency.con.syria/artifacts/detail/166449
29- WWW.BBCNEWS.COM
30- https://www.esyria.sy/2014
31- https://syriaphotoguide.com.lensonsyria.com/wp-content/uploads/2015/01/header.png
32- https://ar.m.wikipedia.org